أثر الحذف في اتساق النص في كتاب كشف الاسرار للمقدسي

نعيم عموري،(الكاتب المسؤول) محمود آبدانان مهدي زاده
بجامعة شهيد تشمران اهواز، اهواز،ايران
جمعة حميدي حسوني
طالب في مرحلة الدكتوراه اللغة العربية وآدابها

ISSN (Paper) 1994-697X
Online 2706 -722X

المستخلص

إن ذِكْر كل التفاصيل في الحديث ، يتطلّب مساحة كبيرة من الجهد والزمان ، لكلٍّ من الكاتب والمتلقّي ، اضافة إلى شيوع الملل ، لهذا اعتمدت اللغات الإنسانيّة ، إلى نوع من الإيجاز، ألا وهو الحذف لبعض العناصر، فمن غير المعقول ، أن يقوم الناس بكتابة كلَّ شيء ، يقولونه ، أو يفهمونه في جُمل كاملة ، فاللغة العربية تشترك مع جميع لغات العالم ، في ميلها إلى التّخفيف والاختصار، فإن وجود هذه الظاهرة في اللغة العربيّة ، يفوق غيرها من اللغات الأخرى ، لما تمتلكه اللغة العربيّة ، في خصائصها الأصليّة ، من ميل إلى الإيجاز، لذا سوف نتطرق في بحثنا هذا ، إلى اثر الحذف في اتساق النص ، في كتاب كشف الأسرار للمقدسي ، وما حققه من إيجاز، وتكثيف لدلالة المعنى ، كما إننا في بحثنا هذا نسهم في وضع منهجا وطريقا ، لتحليل النصوص وكيفية اتساقها ، باستعمال ظاهرة الحذف .

الكلمات المفتاحية: الحذف ، الاتساق ، النص ، كشف الاسرار ، المقدسي

The effect of omission on the consistency of the text in a book

Revealing the secrets of Al-Maqdisi

Naeem Amouri, (responsible writer)
Associate Professor in the Department of Arabic Language and Literature
Shahid Chamran University of Ahwaz, Ahwaz, Iran
Mahmoud Abdanan Mehdi Zadeh
Professor in the Department of Arabic Language and Literature
Shahid Chamran University of Ahwaz, Ahwaz, Iran
Jumaa Hamidi Hassouni

PhD student in Arabic Language and Literature
https ll orcid. Orgl 0009-ooo5- 3064- 6309
gfdsa0770123456789@gamail. com

Abstract

Mentioning all the details in the hadith requires a large area of effort and time, for both the writer and the recipient, in addition to the prevalence of boredom. That is why human languages have relied on a kind of brevity, which is the omission of some elements. It is unreasonable for people to write everything. They say it or understand it in complete sentences, because the Arabic language shares with all the languages of the world its tendency to ease and abbreviate. Therefore, in our research, we will address the effect of deletion on the consistency of the text, in the book "Revealing the secrets" by al-Maqdisi, and what it achieved in terms of brevity and intensification of the significance of the meaning.

Keywords: omission, consistency, text, revealing secrets, Al-Maqdisi

المقدمة

يعد الحذف واحد من أهم المباحث اللغوية الهامة في اللغة العربية وعليه فقد أدرك النحاة الأوائل أهميته في اتساق الكلام فناً وأسلوباً .

فالاتساق عند علماء النّصّ يعني الوحدة والترابط والاستمرار، والحذف يمثّل أحد عناصر هذه المظاهر وقد وصف وصفًا دقيقًا نحو قولهم ، هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ فالحذف يقوم على استبعاد العناصر السطحيّة في النص والتي يمكن لمحتواها المفهوميّ أن يقوم في الذهن ، وتبرز أهمّيّته في اتساق النص فعن طريقه يبدو الكلام مجتمعاً بعضه مع البعض ، فهو مدار الإيجاز ومحل الاختصار ، حيث لا يخلّ بالمعنى ، ولا ينقص من البلاغة ، فلو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام من علوِّ بلاغته ، ولصار إلى شيء مسترذل ، ومبطلًا لما ظهر على الكلام من طلاوة الحسن والرِّقة . وقد سار بحثنا هـ<ا في مبحثين أما الأول فقد تناول الكتاب والمؤلف أما البحث الثاني فقد تناول الدراسة التطبيقية للحذف

أولا : ابن غانم

"أبو حمد بن عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين المعروف ابن غانم المقدسي(١) .

وقد حصل اشتباه فقد ظن بعضهم أن عبد السلام بن أحمد هو العز بن عبد السلام وليس الامر كذلك لقد ولد العز بن عبد السلام بدمشق وهذا ما أكدته كتب التراجم والتاريخ .

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

اختلفت الآراء في تحديد الزمن والسنة التي ولد فيها عبد السلام فبعض من المترجمين ذهب إلى أنه ولد سنة(٧٨ ٥هـ) وهذا ما قطع به الإسنوي في طبقاته واختلفت الروايات بين سنة ٧٧ او ٧٨ وخمسمائة([١])

مولوده ونشأته

ولد المؤلف في مدينة القدس كما قال اليونيني نشأ في بيت علم وصلاح فقد كان حفيد الشيخ الجليل غانم بن علي المقدسي النابلسي أحد الأتقياء والأصفياء والسادة النجباء([٢]) وعمه عبد الله بن غانم بن علي المقدسي له زاوية بنابلس وله أشعار رائعة وكلام قوي في علم التصوف([٣])

حياته العلمية

بعد أن اطلعنا على البيت والبيئة التي نشأ فيها فكان من الطبيعي أن تتهيأ له أسباب تلقي العلم وطلبه والعناية به فقد اشتغل أول عمره بالكتاب العزيز ثم بالعلم فحصل له مشاركة جيده([٤]) .

ثم بعد ذلك لازم كلام جده الشيخ غانم وانتفع به([٥]) ، ويظهر أن كلام جده كان في الزهد والوعظ بينما كان المؤلف يدرس الفقه على مذهب الشافعي([٦]) ، هذا ما ذكرته اغلب المصادر والمراجع فيما يتعلق في حياته العلمية ،

وفيما يخص الثناء عليه فقد قال عنه اليافعي "احد البارزين في الوعظ والنظم" ([٧]) وقال عنه اليونيني "كان شابا عالما فاضلا"([٨]) ، ووصفة ابن عماد الحنبلي في شذرأت الذهب قال "أحد المبرزين في الوعظ والنظم والنثر"([٩]) وهذا يظهر بأنه كان صاحب نثر فائق ونظم رائق فقد قال عنه عمر كحالة في كتاب معجم المؤلفين "حكيم واعظ" ([١٠]) .

وفاته :

توفي المقدسي سنة ٦٧٨ هـ في مدينة القاهرة ودفن بها ، هذا ما ذكرته أغلب المصادر([١١])

كتاب كشف الأَسرار :

محقّق هذا الكتاب الدكتور علاء عبد الوهاب محمد :

والكتاب هو حوار رمزيّ لطيف ، جامع بين الشعر والنثر، أجراه المقدسيّ بين أصناف المخلوقات ، من طيور، وحيوانات ، ونبات ، وجمادات. لخّص فيه أفكاره ، ومعتقداته الصوفيّة ، وملأه بالحكمة ، والموعظة الحسنة"

ومن هنا هناك عدة ملاحظات نذكرها على سبيل الاختصار حول الكتاب .

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

أولا : ان المنهج الذي اتبعه المقدسي في طرح افكاره عن طريق وحدة الموضوع في كشف المعنى المراد ، يدل على إن النص وحدة دلاليّة كبرى يمكن تحليلها بالنظر إلى مكوّناتها الصغرى.

ثانيا : ابتكر المقدسي في كتابه كنز الاسرار، اسلوبا جديدا لم يسبقه احد اليه ، وهو حوار رمزيّ لطيف ، جمع بين الشعر والنثر، أجراه المقدسيّ بين أصناف المخلوقات ، تناول فيه قضايا ، دينيه وأخلاقية واجتماعية مهمة في ضوء منهج لسانيّ نصيّ.

ثالثا : إن هذه الإشارات التي تضمنها الكتاب تعد وحدة لغوية متماسكة، أو نصاً واحداً ، مما يعني أن كل إشارة بنية لغوية عليا ، تهدف لغاية معينة .

رابعا : إنَّ القارئ المتذوق لهذا الكتاب يلحظ اهتمامه بالألوان الفنية التي يحرص عليها كبار اللغويون المحترفون ولذا جاء بأبها صورة وافضل تركيب

خامسا : بعد أن دققنا النظر في الكتاب وجدنا إنه يجمع الصور الجمالية للغة في إطار واحد ، بحيث تكون كل صورة فنا من فنونه ، وبين هذه الفنون خيوط ناسجة متناغمة وعلاقة ترابط.

سادسا : لقد استطاع المقدسي أن يرتقي بأسلوبه الرمزيّ، فيجعله على قدر من الشفافيّة بحيث يَسهل فهمه على سامعيه وقرّائه ، على اختلاف مستوياتهم الثقافيّة .

سابعا : لم يلتزم الكاتب فنًّا واحدًا في الكتاب ؛ بل تراه ينهج في أحد إشارته نهج المقامة ، وفي إشارة أخرى يأتي بمناظرة، وفي ثالثة تغلب عليه روح القِصّة .

تاسعا : لقد حاول المقدسي مزج الشعر بالنثر وإزالة الحدود الفاصلة بينهما عن طريق استعمال المداخلات الصوتية كالتكرار، وحرف القافية في السجع .

اسلوب المقدسي في كتابه كشف الاسرار

عن طريق اطلاعنا على الكتاب يمكن أن نلحظ ميزة واضحة في اسلوبه هي .

القصص والوعظ

لقد سلك ابن غانم على طريقة أهل عصرة من الزهاد والنساك وذلك باهتمامه ودعوته إلى السير واتباع طريق العارفين ، وكثير ما نجد بعض العبارات في كتابه (كنز الاسرار في حكم الطيور والازهار) تامر باتباع طريق العارفين ومثال على ذلك يقول "فإن كنت من المتقين فكن ذا يقين واسلك سبيل العارفين وسر بقيتك بسياستي وما عليك من خساستي فإن كنت في الصورة حقيرا تجدني في المعنى فقيرا لا أزال على أبواب سادتي لا اتغير عن عادتي ولا اقطع عنهم مادتي واطرد واضرب ولست بالحقود فإنا الودود على حفظ العهود واقوم إذا كانت الخلائق رقود واصوم إذا رأيت الخوان ممدود وليس لي مال ممدود ولا نوال بعقود ولا لي بساط ممدود وإن أعطيت شكرت وأن منعت صبرت لا أرى في الأوقات شاكيا ولا على ما فات باكيا وأن مرضت فلا أعاد وإن غبت فلا يقال ليته عاد وأن مت فلا احمل على الأعواد وإن سافرت فلا أستصحب زاد ولا مال فيورث ولا عقار فيحرث وإن فقدت فلا يبكى علي وأن وجدت فلا يهش إلي مع ذلك أحوم حول حماهم وأدوم على وفاهم عاكف على مزابلهم قانع بطلهم دون وابلهم وأن كانت صورتي دميمة فإني قانع بالقيمة فإن أعجبك خلالي فتمسك بأذيالي وإن أردت وفائي فتخلق بأخلاقي" (١)

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

وعند اطلاعنا على هذا النص نلمس أن المقدسي يركز على معاني سامية وهي الحكم والنصائح والتوجيهات إضافة إلى الاهتمام بالسير على طريق العارفين يقدمها بعبارات لطيفة على ألسنة الحيوانات والطيور والنباتات بأسلوب فني يجذب انتباه السامعين وأيضا نجد أن ابن غانم قد دعا الإنسان إلى تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى.

يقول الدكتور عمر موسى في كتابه تاريخ الأدب العربي عندما أتحدث عن ابن غانم نلحظ "أنه أوتي عبقرية قصصية حية تذكر لنا في هذا التصوير والتخيل الموفق ولا يمنعنا ذلك أن نسجل له وتوفيقه في اختيار المعاني الدينية التي عرضها في قصصه يضاف إلى ذلك الخيال الخصب أمده بهذه الصورة التي مرت معنى وحوار حي موفق حيث يبرز لنا موهبته"(١).

كما أننا نلحظ جانب أخر هو الجانب التربوي في قصاصه فإننا نجد أفكاره تدعو إلى نشر الأفكار التربوية الإنسانية من احترام كرامة الإنسان دون النظر إلى اللون أو الطبقة فقد دعا بالإنسان إلى السمو بمكارم الاخلاق فوق كل صراع دنيوي فيعفو به عن كل من ظلمه ومحققا أعلى مراتب السمو الأخلاقي "لا شك أن الدين الحنيف يحث على العفو والصفح وكثير من الناس يميلون بعد المقدرة إلى أن يعفو وهذه المرتبة تعتبر أعلى من مرتبة الانتصار بعد الظلم"(٢)

ومن فوائد القصص على لسان الحيوان هناك وظيفة جمالية امتاعية لأن تقليد الحيوان والنبات لسلوك الإنساني بكل عجائبه يجعل المألوف غير مألوف فيبدو غريبا وعجيبا من خلال حديث الحيوان عن أهم القضايا في حياة الإنسان، مما يؤدي إلى إشاعة روح الفكاهة وذلك إن الحكمة على لسان الحيوان ادعى للقبول والإقناع منها على لسان الإنسان الذي تنطوي حكمته الإرشادية ونصائحه الوعظية على نوع من الاستعلاء الضمني بين الناصح والمنصوح ، ومن هنا نجد أن ابن غانم جعل الحكمة على لسان الطيور والأزهار وأحاطها بطابع أدبي أدعي للقبول لدى العامة والخاصة وأيضا للإقناع ، وإذا نظرنا إلى نثر ابن غانم نجد من خصائصه انه يسير على الأسلوب التربوي كما ذكرنا في الأمثلة السابقة كما أنه يتميز بجودة الأسلوب وبراعة التصوير ، و كثرة طرق التعبير كما أنه يتسم بوضوح القصد وصدق القول مع قوة التأثير في التعبير ومن هنا فقد ازدهر النثر على يديه و أصبح تعبيرا وتصوير دقيقا لأنه يخاطب القلب كالوجد والشوق والهيام من جهة وما ينتهي إليه الإنسان في حبه الصادق إلى خالقه من جهة أخرى .

كما أننا نلاحظ ابتعاد ابن غانم عن الجدل المنطقي وبعكسه فقد اقترب من التعبير الأدبي والتصوير الفني.

ثانيا : الحذف

يّعد الحذف واحدا من أهم الظواهر اللغوية ، التي اهتم بها علماء اللغة وأولوها عناية كبيرة ، وقد استخلصها العرب من الاستقراء الوصفي المباشر للغة يقول فيه الجرجاني: " هو بابٌ دقيق المسلك، لطيفُ المأخذ،

عجيب الامر، شبيهٌ بالسحر، فإنك ترى به ترك الذّكر، أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن"(٣).

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

وعنه يقول العلوي: "اعلم أنّ مدار الإيجاز على الحذف ؛ لأنّ موضوعه على الاختصار، وذلك إنما يكون بحذف ما لا يُخلّ بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة، بل أقول لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام على علو بلاغته، ولصار إلى شيء مُسْتَرَكٍّ مُسْتَرذل، ولكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرّقة"(١).

أما عند المحدثين فهو من وسائل الاتساق التي تتم داخل النّص ، أي إنّ الحذف علاقة مرجعية لما سبق في الغالب ، وقد تكون المواقف الخارجية والمعلومات التي يمتلكها المتلقي هي التي تُفسِّر لنا الحذف .

وفي حد الحذف يقول عنه الرّاجحي "ميل المتكلم إلى حذف العناصر المتكررة او التي يمكن فهمها من السّياق"(٢) ومن ثم نجد في الجملة فراغاً بنيوياً يهتدي إليه القارئ لملئه اعتماداً على قرائن وردت في النّص أو اعتماداً على قرائن خارج النّص أو اعتماداً على السّياق، ولهذا يمكن القول في الحذف: هو ضرورة من ضرورات الاستعمال التي تنزاح عن مقررات النّظام اللغوي(٣)، وغالباً ما تكون الحاجة للحذف فنية يكون الهدف منها العدول عن نسق لغوي معين الى آخر لأسباب يلجأ اليها المرسل من أجل تحقيق دلالة مقصودة ، وهذه الدلالة أما أن تتعلق ببنية النّص الذي يرد فيه الحذف أوبحاجة المبدع وقصده [٤] ويرتكز دور مقصد المرسل للنص بوجه عام على بلورة المعنى كما هو عنده ، إذ يستلزم منه مراعاة طريقة التّعبير عن قصده ، وانتخاب الإستراتيجيات التي تتكفل بنقله الى المتلقي مع مراعاة العناصر السّياقيّة ، وغاية قصد المرسل هي إفهام المرسل اليه، ويشترط فيه تعبير المرسل عن القصد الذي يوصل اليه ، وأن يمتلك اللغة في مستوياتها المعروفة ومنها المستوى الدلالي الذي يُعد الحذف من أهم مرتكزاته [٥] ، كما أن الحذف هو أحد آليات الاختزال التي تسهم في تكثيف الرّسائل التي يروم المرسل إيصالها الى متلقيه ، ويمنع تشتتها، ويجنب النّص التّرهل، وربما كان مدعاةً لاهتمام البلاغيين والنقاد على حدٍ سواء[٦].

لقد أشار القدماء إلى أسباب الحذف ، والى الظواهر المطردة منه وغير المطردة ، وأنواعه وأساليبه ، وقد ارتكز اهتمامهم على الأغراض التي يُؤديها الحذف ومنها : الاختصار، والاحتراز عن العبث ، والتّفخيم، والاعظام لما فيه من الإبهام ، ومنها التّخفيف لكثرة دورانه في الكلام، ومنها شهرته ، حتى يكون ذكره من عدمه سواء ...(٧)، ولكن المهم في في هذا المبحث بيان الاثر الذي يحققه في اتساق النّص .

يعد الحذف من أهم الخصائص الفنية، في كتاب كشف الاسرار في حكم الطيور والأزهار ومن ذلك قوله :

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

"سبحان الله! أينكر فضلى عليكم، وأنا الباعث طلى ووابلي إليكم، وهل أنتم إلا أطفال جودي ، ونسل وجودي، ملأت البرّ برا ببرى، والبحر درا بدرى"([1]) ،

قلنا في ما سبق إنَّ الجملة الأولى تمثل المعلم الرّئيس للنص ، حيث يتوفر المرجع المُفسِّر لما يعود عليه من المبهمات ، والمرجع لأغلب المحذوفات ، فقد عمد المؤلف الى حذف المبتدأ والخبر في الجملة الثانية اعتمادا على الجملة الأولى (أنا الباعث طلى ووابلي إليكم) نحو (أنا الباعث) وفائدة الحذف هنا ، هو تركيز المؤلف على ضخ اكبر كمية من النعم التي يجلبها السحاب ، وتنبيه المتلقي لها ، ثم إنه يسهم في زيادة اللذة ؛ بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، مما يدفع الملل ، والسأم عن المتلقّي ، فيبقى المتلقّي متيقّضًا مشدودًا متفاعلًا مع النصّ ([2])، ثم يستمر المؤلف في اتباع هذا النهج في الجمل التي تلت هذا النص نحو(وهل أنتم إلا أطفال جودي ، ونسل وجودي) حيث عمد إلى حذف قول بأكمله كما لوحظ في النص على النحو التالي (وهل أنتم إلا نسل وجودي) وذلك لنفس السبب الذي ذكر، ثم اضاف فائدة مفادها إن هذا العالم ما هو إلا نتيجة وجود الماء ، وذلك مصداقا لقوله تعالى(وجعلنا من الماء كل شيء حي)، باعتبار إن الرياح هي سبب وجود هذا الماء نتيجة التبخر ، وحمل البخار إلى مناطق شاسعة . ثم يستمر المؤلف في استعمال الحذف والتركيز على نعم السحاب كما في قوله (ملأت البرّ برا ببرى، والبحر درا بدرى) ولو دققنا النظر في هذا المقطع من النص ، للحظنا وجود ثغرات لغويّة متعدِّدة ، ناجمة عن إسقاط بعض الصيغ من النصّ، فإذا عدنا إلى الجملة المتقدِّمة على هذه الجملة يمكن أن نلحظ ما تمّ إسقاطه ، وهو (الفعل) فيكون التقدير : (ملأت البحر درا بدرى)، فبدلالة ألفاظ الجملة السابقة يهتدي المتلقّي إلى تقدير المحذوف ، وبهذا يتحقّق الاتساق بين الجملتين .

فهذه الجُمل لم تكن منعزلة بعضها عن بعضٍ ، بل عملت بوصفها نصًّا في سياقات جملية ، أي إن هناك دائمًا ما يرشد المتلقّي إلى تفسير الجملة أكثر مما تقدِّمه الجملة نفسها[3] ، وهذا ما يُلحَظ في عملية الحذف ، الذي يُحتّم على المتلقّي البحث عن عنصر سابق ، أو لاحق في النصّ ، واتخاذه مصدرًا للمعلومة المفقودة " فيترك العنصر المحذوف فجوة على مستوى البنية التركيبيّة يمكن ملؤها من مكان آخر في النصّ "[4] .

وفي نص آخر يقول المقدسي :

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

"فناداني بالسان زجره الفصيح ، وتساوى لديك العدو والنصيح لا بالكتابة تفهم ولا بالتصريح ، فكأن المواعظ في أذنيك ريح ، وكلام الواعظ يسمع حولك كالنبيح ، أما تذكر ارتحالك من هذا الفسيح ، إلى ضيق الضريح"([1]) .

فمن موارد الحذف التي جاءت بمرجعيّة قبلية ، أي استندت في تقديرها إلى ألفاظ ذُكِرت قبل الحذف كقوله :(فناداني بلسان زجره الفصيح) حيث حذف الفاعل المضمر للفعل (نادى) وتقديره (هو) الذي يعود على الغراب ، والعدول من صيغة الفاعل الظاهر الى صيغة الفاعل المضمر، هو لغرض التركيز على المضمون الذي يريد المنشئ إيصاله للمتلقي ، لان المقصود هَهُنا ليس الغراب ، وإنما هو قول افتراضي الغاية منه والتّرغيب والتّرهيب .

كما عمد المرسل الى حذف متعلق الفعل (تساوى) والتّقدير (قول العدو وقول الناصح) لدلالة السّياق اللفظي عليه بدلالة القرائن اللفظيّة التي ساقها المرسل في مستهل النّص عندما ذكر (اللسان) والذي يفهم منه إشارة إلى الكلام ، وأيضاً عمد المؤلف الى حذف جملة نحو (لا بالكتابة تفهم ولا بالتصريح) إذ ترك التقدير اعتمادا على فهم المتلقي وذلك لكي يتسنى للمتلقي ملء الفراغ ، بمحذوف مناسب فقد يكون المحذوف (تفهم)(تتعلم) (تتعظ) فالمؤلف هنا يسعى لتحريك ذهن المتلقي إلى التفاعل مع النصّ ، ومتابعة احداثه ، فيزداد بذلك التفاعل بين أبنية النصّ والمتلقّي ، ويشدّ انتباهه ، ويتضاعف تركيزه ، من أجل الوقوف على الدليل اللفظيّ الذي يهديه إلى تقدير المحذوف ، وبذلك يحقق ثراءً دلاليا ، كما إن حرية التقدير الذي تركه المؤلف للمتلقي ساعد على تجاوز حدود مكان وزمان التّلقي ، لينسجم الكلام مع كل زمان ومكان ، وذلك لأن نوع التقدير لا يخرج عن ثيمة النّص الأساسيّة التي يحاول المؤلف ترسيخها في ذهن المتلقي.

ثم يستمر المؤلف في استعمال الحذف من أجل الوصول إلى الغاية التي يسعى إليها ، وترسيخها في ذهن المتلقي ، فقد جاء قوله :(فكأن المواعظ في أذنيك ريح ، وكلام الواعظ يسمع حولك كالنبيح) حيث عمد إلى حذف عبارة بأكملها ،فيكون تقديرها (تمر مر الرياح) فالدليل الذي يرشد إلى المحذوف جاء مبهما لذلك يستدعي الاهتداء إلى تقدير العنصر المحذوفة فكر وتأمل ، ودقّة نظر في النصّ ، فورود فجوة داخل النصّ ، تفجّر في ذهن المتلقي شحنة توقظ ذهنه، وتجعله يفكر فيما هو المقصود ، اذ ليس من المعقول أن تكون المواعظ رياح ، أذن لابد من التقدير لكي يستقيم المعنى ، وفي هذا النوع من الحذف يظهر عنصر التشويق واضحا، وجذب المتلقّي إلى النصّ ، فيحقّق المؤلف أعلى مستوى من مستويات التفاعل مع فقرات النصّ ، ومن ثمّ تكون عمليّة إدراك النصّ بوصفه كتلة لغويّة واحدة أسهل نسبيًّا إذ " تخرج العبارات حسنة ، من خلال ما يعمد إليه المتكلّم من حذف لا يغمض به المعنى ، ولا يلتوي وراءه القصد ، وإنّما هو تصرف تصفى به العبارة ، ويشتدّ به أسرها ، ويقوى حبكها ، ويتكاثر إيحاؤها ،

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

ويمتلئ مبناها ... وفي طبع اللغة أن تُسقط من الألفاظ ما يدلّ عليه غيره ، أو ما يرشد إليه سياق الكلام ، أو دلالة الحال ، وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ ، والسامع ، وتعوّل على إثارة حسّه ، وبعث خياله ، وتنشيط نفسه ، حتى يفهم بالقرينة ، ويدرك باللمحة ، ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير"(١) .

انتقل بعد ذلك إلى حذف أداة التشبيه (كأن) اعتمادا على ما ذكر في الجملة الأولى وذلك للاقتصاد والاختصار فضلا عن الاتساق الذي يحققه الحذف عن طريق الربط بين الجملتين "فإذا كان المحذوف في جملة، والدال عليه مذكور في جملة أخرى ، سواء أكانت في هذا النّص أم في نص غيره ، بشرط صدور النّصين من قائل واحد ، فإن هذا يسهم ، في الحقيقة ، في تحقيق تماسك هاتين الجملتين أو هذه الجمل، خاصة إذا كان المحذوف من لفظ مذكور أو يترادف معه ، أو يتقابل معه".(٢) .

ثم يستمر المؤلف في استعمال الحذف ، لما له من أثر في تحريك ذهن المتلقي نحو(أما تذكر ارتحالك من هذا الفسيح ، إلى ضيق الضريح) نلحظ إن المؤلف استعمل الفعل (تذكر) بصيغة الماضي مع إنه يتحدث عن المستقبل والذي ساغ له ذلك هو الحذف فيكون التقدير(تستذكر) كما إنه حذف الفاعل واسنده إلى المتلقي وذلك ليعيش بخياله مع النص ومن ثم أسهم الحذف في تحقيق الاتساق بين هذه العبارات أي إن عدم تكرار مفردات اللغة يجنبها الثقل ، والترهّل في الكلام(٣) ، ومن هنا عمد المؤلف إلى حذف بعض العناصر التي يمكن للسامع إدراكها ، ولا سيّما مع وجود الدليل اللفظيّ المرشِد للعنصر المحذوف .

وايضا نلحظ إن المؤلف يحاول جذب انتباه المتلقي عن طريق الفجوات التي يتركها في النص ، نحو (من هذا الفسيح ، إلى ضيق الضريح) فقد عمد المؤلف إلى حذف جزء من شطر الجملة الأولى وترك الخيار للمتلقي ، والتي لا بدّ من ملئها ليستقيم المعنى طبقًا لفهمه ، رابطًا بين جمله بوسائل متنوعة منها الحذف ، الذي يُعدّ جزءٌ لا يتجزّأ من عمليّة فهم النصّ ، وتفسيره ، عبر قراءته قراءة متأنيّة دقيقة ، فللحذف "أثر في تنشيط خيال المتلقّي ، وإثراء دلالات النصّ عبر المحاولات المستمرّة ، من أجل الوصول إلى المعنى في ضوء المعرفة المسبقة للقارئ ، ووجود قرائن تدلّ على المحذوف ، وتساعد المتلقّي على ملء الفجوات داخل النصّ" (٤) ، فلو اعدنا قراءة النص بملء الفجوات نحو(من هذا العالم الفسيح ، إلى ضيق ذلك الضريح) فإننا نرى إن المتلقي لا يبذل جهدا في فهم النص ، وبالتالي لا يحرك

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

عقله([1]) ، كما إن ملء هذه الفجوات قطع الاتصال بين ما سبق ذكره وما طرح ! لأن الحذف دفع المتلقي للانتقال بالخيال لملء هذه الفجوات فقد نص على ذلك دي بو جراند بقوله عن الحذف هو " استبعاد العبارات السّطحيّة التي يمكن لمحتواها المفهوميّ أنْ يقوم في الذّهن أو أنْ يوسّع أو أنْ يعدّل بواسطة العبارات النّاقصة"[2].

لذا نرى المقدسي كثير ما يلجأ إلى هذا النوع من الحذف ، للاقتصاد في الكلام ودفع الملل عن المتلقي نحو "فأنظر إلى الورد وقد ورد، وإلى البرد وقد شرد، وإلى الزهر وقد اتقد، وإلى الحب وقد انعقد، وإلى الغصن اليابس وقد اكتسى بعد ما انجرد، وإلى اختلاف المطاعم والمشارب وقد اتحد، فاعلم أن خالقها أحدٌ، ومنوعها صمدٌ"([3]).

في هذا النص نلحظ إن المقدسي قام بحذف الفاعل المضمر من الجمل التي تلت الجملة الأولى(فأنظر) وهذا عين الاقتصاد في اللغة ، فالكاتب عندما يستخدم اللغة يحاول أن يودي المعنى بأقل طاقة ، وهو مناط الاهتمام ما لم يؤثر بالمعنى المراد وقصدية النص.

وقد لجأ المقدسي إلى نوع آخر من الحذف ، لا يستعمله إلا نماذج قليلة من الكتاب نظرا لتعقد هذا النوع من الحذف، كونه يمثل غموضا للنص وهذا الغموض يرتبط بأغراض تخص الكاتب سواء كانت سياسية ، اجتماعية ، دينية ، فلسفية([4]) فمن ذلك جاء في كشف الاسرار " يُدرك معنى شذاي حاسة الشمَّ لا حاسة السمع، وهذا معنى لا خطر بقلبٍ ولا مر بسمع، فإطراقي اعترافاً بتقصيري، وإطلاقي لأحداقي نظراً فيما عليه مصيري"([5]) .

في هذا النص نلحظ إن المقدسي قام بحذف عبارات كاملة ليس من السهل الاهتداء إليها ، وإنما أورد النص وترك إملاء ثغراته للمتلقي اللبيب ، فلو عدنا للنص وبالتحديد إلى مقدمته حيث ذكر إن من يدرك معنى شذاي هي حاسة الشم وكلمة (شذى) ترمز لكل شيء طيب ، فقد حذف المعنى الكامن خلف هذا اللفظ وترك إملاء فجواته للمتلقي ، فهو يقصد من ذلك وحسب ما يفهم من نهجه إن أعمال بني أدم تتجسد على شكل رائحة فمن كانت رائحته طيبة فهو عمل حسن ومن كانت رائحته نتنة فهو عمل قبيح ، بعد ذلك انتقل إلى معنى آخر فأورد له شطرا من الحديث وحذف شطرا آخر معتمدا على المتلقي في سد ثغراته حيث قال(وهذا معنى لا خطر بقلبٍ ولا مر بسمع) وأصل الحديث (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد)

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

ومن ههنا فإن الحذف يُعدُّ العنصر الأساسي في اتساق النص ؛ لأنّه هو الذي يكسبه سماته(١) ، ويحكم باتساقه ، وقضيّة الحذف من أهم وسائل الاتساق النصّيّ التي تبرِز أهميّته ، إذ يقوم المتلقّي بمجموعة من العمليّات الذهنيّة الناتجة من الحذف لسدِّ الفجوات التي تقع على المستوى التركيبيّ ، أو سطح النصّ اعتمادًا على معرفته الأساسيّة بالأعراف التركيبيّة(٢) ، إذ إنّ معرفة كلّ من المؤلف ، والمتلقّي بالأعراف اللغويّة يسهم في نجاح الحذف في تحقيق الاتساق بين أبنية النصّ ومكوّناته(٣) ، فـ"المحذوف بالنسبة للمتلقّي كالمذكور"(٤) عن طريق ملاحظة اللفظ المذكور في النصّ ، والذي يمدّ المتلقّي بإشارات تعينه على تقدير المحذوف ، فيُنظر إلى العناصر المحذوفة وكأنّها موجودة حاضرة في النصِّ ، فينطبق عليها ما ينطبق على فقرات النصّ غير المحذوفة.

أثر الحذف في اتساق النص

لقد تبين لنا عن طريق طرح الأمثلة السابقة إن كتاب كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار لا يخلو من الحذف بأشكاله المختلفة ، سواء كان أسما أم فعلا ، وقد لعب الحذف دورا هاما في اتساق النص ، وربط أجزاءه ، كما لاحظنا كيف حرك ذهن المتلقي للتفاعل مع النص ، وإملاء فجواته يتعبيرات مناسبة تبعا لفهم المتلقي ، تتسق مع مضمون النص وعدم فسح المجال للشرود الذهني .

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة مع البحث نورد أبرز النتائج التي توصل إليها البحث

١- لقد تبين لنا عن طريق طرح الأمثلة السابقة إن كتاب كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار لا يخلو من الحذف بأشكاله المختلفة ، سواء كان أسما أم فعلا ، وقد لعب الحذف دورا هاما في اتساق النص ، وربط أجزاءه ، كما لاحظنا كيف حرك ذهن المتلقي للتفاعل مع النص ، وإملاء فجواته بتعبيرات مناسبة تبعا لفهم المتلقي ، تتسق مع مضمون النص .

٢- بما إنَّ الجملة الأولى تمثل المعلم الرّئيس للنص ، حيث يتوفر المرجع المُفسِّر لما يعود عليه من المبهمات ، فقد عمد المؤلف الى حذف الجملة الثانية اعتمادا على الجملة الأولى

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

كما في قوله (أنا الباعث طلى ووابلي إليكم) نحو (أنا الباعث) وفائدة الحذف هنا ، هو تركيز المؤلف على ضخ أكبر كمية من النعم التي يجلبها السحاب ، وتنبيه المتلقي لها ، ثم إنه يسهم في زيادة اللذة ؛ بسبب استنباط الذهن للمحذوف.

٣- نلحظ إن المؤلف يحاول جذب انتباه المتلقي عن طريق الفجوات التي يتركها في النص ، نحو (من هذا الفسيح ، إلى ضيق الضريح) فقد عمد المؤلف إلى حذف جزء من شطر الجملة الأولى وترك الخيار للمتلقي ، والتي لا بدّ من ملئها ليستقيم المعنى طبقًا لفهمه ، وبالتالي أسهم في اثراء النص واتساقه.

٤- عمد المؤلف أن يجعل من الحذف أحد الآليات في اختزال المعنى ومن ثم اسهم في تكثيف الدلالة التي أراد إيصالها الى المتلقي ، بالإضافة منع تشتتها، كما جنب النّص التّرهل وقد اشرنا إلى ذلك فيما سبق.

مصادر الهوامش

١- -اليافعي، أبو محمد عبد الله: ١٣٣٩ هـ مرآة الجنان وعبرت اليقظان، ج٤، ط١، حيدر أباد دائرة المعارف، دار المعارف النظامية د.ط: ١٩٠ وينظر:اليونيني، موسى: ١٩٦١ م ، ذيل مرآة الجنان، ج٤، ط١، الهند، دائرة المعارف العثمانية،: ٣٠٦

٢- البغدادي، اسماعيل باشا ١٩٥٥م : هدية العارفين المؤلفين وأثار المصنفين ، ج١، بغداد، مكتبة المثنى: ٥٧١

٣- اليافعي، أبو محمد عبد الله: مرآة الجنان وعبرت اليقظان، ج٤: ٨٢

٤-الدمشقي، أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ١٩٨٧م : البداية والنهاية، تحقيق د٠ أحمد أبو ملحم وآخرون، ج١٣، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، : ٢٨٢

٥ - اليونيني، موسى: ذيل مرآة الجنان، ج٤: ١٣

٦- المصدر نفسه : ١٣

٧ البغدادي ، اسماعيل باشا: هدية العارفين المؤلفين وأثار المصنفين ج١: ٥٧١

٨- اليافعي، أبو محمد عبد الله: مرآة الجنان وعبرت اليقظان، ج٤ : ١٩٠

٩- اليونيني، موسى: ذيل مرآة الجنان، ج٤: ١٣

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

١٠-الحنبلي، عبد الحي بن العماد(ت ١٠٨٩م) : شذرات الذهب في اخبار من ذهب،ج٥، بيروت، دار الفكر، د. ت: ٣٦٢

١١ - معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية مكتبة المثنى دار التراث العربي بيروت ج٥ : ١٦٢

١٢- ينظر ، اليونيبني، موسى: ذيل مرآة الجنان، ج٤ : ١٩٠

١٣- المقدسي، عز الدين بن عبد السلام ابن غانم : كشف الاسرار في حكم الطيور والأزهار، (ت٦٧٨ ه) حققه وعلق عليه علاء عبد الوهاب محمد، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، د ط، د ت (اشارة الكلب)

١٤- عمر موسى باشا ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، تاريخ الأدب العربي العصر العثماني دار الفكر المعاصر – بيروت الطبعة الأولى: ٤٦٧

١٥- حسن محمد باجوده ١٤١٤هـ ،: تأملات في سورة الفرقان. ط٢. د. ط: ١٥٧

١٦- الجرجاني: عبد القاهر (ت٢٧٤هـ)، ١٩٨٤م دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني،: ١٤٦

١٧- اليمني، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط١، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية،: ٢٤٦ - ٢٤٧.

١٨- الراجحي عبدُه ١٩٨٦م ، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج ، ، دار النهضة العربية بيروت ،: ١٤٩

١٩- ينظر: تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٩٨

٢٠- ينظر : سعد التميمي الخصائص الأسلوبية في نهج البلاغة، ر أطروحة دكتوراه جامعة الخرطوم السودان : ١٥١

٢١ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر االشهري سنة ٢٠٠٤ م ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط/١: ١٨٠-18ّ٣

٢٢- ينظر: الخصائص الاسلوبية في نهج البلاغة : ١٨٤

٢٣- ينظر : السيوطي الإتقان في علوم القرآن : : ١٧٠-١٧١

٢٤ - كشف الاسرار في حكم الطيور والأزهار للمقدسي : ٧٣

٢٥ - يُنظر : محمد عبد الباسط عيد ، ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩م ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن: مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى،: ١٨٩

٢٦ - يُنظر : عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١٦

٢٧ - المصدر نفسه : ١١٦

٢٨- المقدسي ، كشف الاسرار في حكم الطيور والأزهار: ١٠٤

٢٩ - أبو موسى محمد محمد ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م خصائص التراكيب ، دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني :، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٤ ،: ١٥٣

٣٠- الفقي صبحي إبراهيم علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢٠٨

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

٣١ ـ يُنظر : ليندة قياس ، لسانيات النصّ النظرية والتطبيق ، ١٢٠

٣٢ـ عزة شبل ، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، ١٧٥

٣٣ـ ينظر عبد الخلف واحد ، الاساليب البلاغية في وصية الامام علي إلى ابنه الحسن عليهما السلام،: ٨

٣٤ـ النص والخطاب والإجراء دي بو جراند: ٣٠١.

٣٥ ـا لمقدسي كشف الاسرار في حكم الطيور والأزهار : ٥٤

٣٦ ـ ينظر ، الموسوي يوسف محفوظي المنهج التأويلي في كتاب أمالي المرتضى)دراسة تفسيرية.:١٥

٣٧ـ المقدسي كشف الاسرار في حكم الطيور والأزهار : ٥٧

٣٨ ـينظر ، مولود محمد زايد بنية المفارقة ودلالاتها قراءة ثانية :١٠

٣٩ ـ يُنظر : حسام أحمد فرج نظرية علم النصّ ،: ٨٨

٤٠ ـ ينظر المصدر نفسه :٨٨

٤١ـ الشاوش ،محمد أصول تحليل الخطاب ، ،ج ٢: ١١٤٨

قائمة المصادر والمراجع

الدمشقي، أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤ه) ١٩٨٧م: البداية والنهاية، تحقيق د٠ أحمد أبو ملحم وآخرون، ج١٣، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية،

عمر موسى باشا ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ، تاريخ الأدب العربي العصر العثماني دار الفكر المعاصر – بيروت الطبعة الأولى.

فهد رشيد حسن التَّرابط النَّصيّ في الحديث النَّبوي الشَّريفِ كتابُ رياضِ الصَّالحين للنووي (ت٦٧٦هـ) مثالا، رسالة ماجستير،.

مؤيد عبيد صوينت، ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩م تفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة النصي: دار الملاك للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى،.

سعد التميمي الخصائص الأسلوبية في نهج البلاغة، أطروحة دكتوراه جامعة الخرطوم السودان .

أبو موسى ، محمد محمد ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦ ، خصائص التراكيب ، دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني :، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٤ ،.

الجرجاني عبد القاهر (ت٢٧٤هـ) ١٩٨٤م دلائل الإعجاز :، تح : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة ،.

الحنبلي، عبد الحي بن العماد(ت ١٠٨٩م) : شذرات الذهب في اخبار من ذهب،ج٥، بيروت، دار الفكر، د. ت.

اليمني، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي ، ١٩٩٥ : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية،.

الفقي صبحي إبراهيم٢٠٠٠م: علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج١، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط١.

الخويسكي زين كامل ، ١٩٨٩ م في المجالات الدلالية في القرآن الكريم ، /١٥ ، دار المعرفة – اسكندرية / ط١ ،.

المقدسي، عز الدين بن عبد السلام ابن غانم : كشف الاسرار في حكم الطيور والأزهار، (ت٦٧٨ ه) حققه وعلق عليه علاء عبد الوهاب محمد، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، د ط، د ت

حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون المجلد الثاني تصحيح شرف الدين ورفعت الكبيسي مكتبة المدينة بغداد .

ابن منظور لسان العرب :، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، د ط ، د ت .

ليندة قيَّاس،١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م لسانيّات النصّ النظرية والتطبيق ، مقامات الهمذانيّ أنموذجًا :، تقديم : د. عبد الوهاب شعلان ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١،.

تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها.

اليافعي، أبو محمد عبد الله ١٣٣٩ ه: مرآة الجنان وعبرت اليقظان، ج٤، ط١، حيدر أباد دائرة المعارف، دار المعارف النظامية د.ط.

السامرائي ، فاضل صالح ،١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م معاني النحو : مؤسسة التاريخ العربيّ ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، ط١ ،.

معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية مكتبة المثنى دار التراث العربي بيروت ج٥.

الأصبهاني الحسين بن محمد الراغب، ١٩٧٠م المفردات في غريب القرآن ، ، أعده للنشر : د. محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية – المطبعة الفنية الحديثة –القاهرة /.

عبدُه الراجحي، ١٩٨٦ ، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج ، دار النهضة العربية بيروت .

مصطفى حميدة ، ١٩٩٧م نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة : الشركة المصرية العالميّة للنشر – لونجمان ، القاهرة ، ط ١ ،.

البغدادي اسماعيل باشا ، ١٩٥٥ م هدية العارفين المؤلفين وأثار المصنفين المجلد الأول مكتبة المثنى بغداد.

Abdul Khalaf Wahid Wesak , 2008 Rhetorical Methods in the Will of Imam Ali to his son Al-Hassan, peace be upon them misan Journal of Academic Studies, Volume VI, 16 Issue 12

Al-Moussawi Youssef Mahfuzi: 2018- The Hermeneutic Approach in Amaly Al-Murtada's Book (An Interpretive Study) - misan Journal for Academic Studies, Issue 33,

birth of Mohamed Zayed, 2020 the structure of the paradox and its implications, a second reading, misan Journal for Academic Studies, Issue 39,

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X